

رواية الواقعية

ثلاثية المشى على الصراط "الجزء الأول"



vehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان والتطور" 2018/05/05

المسبة الحادية عشرة - العدد: 3899

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

هذا هو الفصل الثالث (بماتان) ننشره على ثلاثة أيام: الجزء الأول اليوم، الجزء الثاني باكر ويليه الجزء الثالث والأخير بعد باكر، وطبعا أى جزء لا يقرأ منفصلا، ولا حتى الفصل بأكمله، لكن دعونا نرى كيف يصور الإبداع أعراض المرض وهي تتسحب وتكشف وتنشطُ موقفا نقديا في عز فشلها الذى لم يعلن تماما بعد.

موجز لما سبق، قد لا يفيد

...عبد السلام المشد (الشخصية الرئيسية في هذه الرواية) هو رجل في منتصف العمر أصيب فجأة بتغير جذرى في رؤيته لنفسه وللعالم من حوله، واكتشف بُعده عن هذا وذلك، وكأنه رحل فجأة إلى كوكبه الخاص، ثم إنه راح ينكر ما أصابه ويواصل ظاهرا حياته وكأن شيئا لم يكن حتى اشتدت حالته وبدأ يختلط الخيال بالواقع، وهو يعيد النظر في علاقاته حتى مع أقرب الأقرابين، وخاصة زوجته، هو ينتكر لتاريخ هذه العلاقات ويشك في صدقها وجدواها، والرواية تكشف أطوار تمادى المرض قبل أن يذهب لاستشارة أى طبيب نفسى، وبعده، وهو ما جرى في الفصول التالية.

الجزء الأول: (تداعيات عبد السلام المشد)

...منذ ذلك اليوم وأنا في أسوأ حال. أصبحت حذرا من لقاء زوجتى أو مبادلتها الحديث ولم أعد أطيق العيش تحت تهديد الاقترام، وحتى دورى الآخر (وكأنى أمثل) على خشبة المسرح أصبح يرهقنى حتى كدت أفصح في بعض المواقف حين أتوقف عن التمثيل وأنا مازلت على خشبة المسرح. هذا الخلط بين التمثيل والفرجة هو الخطر بعينه: إذا ذهبت لأقابل المدير في عمل جاد نسيت ما ذهبت إليه وجعلت أتفرج عليه، وأعجب من هذا الإنسان اللامع، وأحاول أن أتتبع حركة يده وهي تقترب من شعره دون أن تلمسه، أو حركة أصابعه وهي تمر على رباط عنقه، وأتساءل عن الوقت والجهد الذين أنفقهما لينتقى هذا الرباط النادر، واكتشف السبب في أن الناس تحب اقتناء الأشياء النادرة جدا مهما بهظت أثمانها حتى لا يشاركهم إلا القليلون. أفسر ذلك بأنهم عجزوا أن يكونوا من كوكب خاص مثلى، فعوضوا عجزهم بهذه الأشياء الخاصة. ضبطنى المدير غائبا عما يقوله، فعلا صوته:

- مالك يا أستاذ عبد السلام.

اكتشف السبب في أن
الناس تحب اقتناء الأشياء
النادرة جدا مهما بهظت
أثمانها حتى لا يشاركهم
إلا القليلون

- تحت أمرك يا أفندم.
- هل أنت معي أو أن هناك ما يشغلك؟.
- آسف، أنا مصاب بحمى لم يعرف الأطباء تشخيصها، وأنا محتار بها بينهم، والحالة تزداد سوءا.
(هذا من مزايا المرحلة، الكذب التلقائي الفلسفى، حلوة حكاية الفلسفى هذا).
- لا بأس عليك... ولكن هل الحرارة لا تزال مرتفعة؟.
- لا حرارة ولا يحزنون.
- ماذا تقول يا عبد السلام أفندى؟. حمى دون حرارة.
- هذه هى المصيبة يا أفندم.
- (أين تذهب بى أفاضى؟ كدت أصرح له بكل شئ. ولم يبق إلا أن أكلمه عن مسرحى الخاص وعن
طاقية الإخفاء).

- لا عليك، إن الأمراض هذه الأيام تغيرت عن الأمراض زمان، حمى بدون حمى، وفقر دم بدون دم، وحساسية بلا إحساس. وكل هذا يسمونه اضطرابا فى الأعصاب. أنصحك أن تستشير أحد المختصين فى الأعصاب.

- أطال الله عمركم يا أفندم إن شاء الله، ربنا يبعد عنكم الشر
- ربنا يطمئننا عليك يا عبد السلام أفندى، هموم الدنيا أكبر من احتمال الناس!!.
- جاءت سليمة!!.

منذ ذلك اليوم وأنا أمضى أكثر حذرا، ولكن كلما تذكرت احتمال عودة الروح إلى زوجتى اختل توازنى، بالإضافة إلى الذهول الذى كان يصيبنى بين الحين والحين، رجعت إلى الصداع بطريقة بشعة، ورجعت الوحوش والهوام تشاركنى مخدعى، والصقور تنهش جنتى، وزادت نوبات فزعى الليلية وصراخى المكتوم، وقد لاحظت أن زوجتى تستيقظ إثر هذه النوبات ولكنها لا تحاول إخراجى بأن تعلق على ما سمعت. ما أفسى هذا الشعور البشع، أن تخفى شيئا عن شخص يعلمه، أو يمكن أن يعلمه. هى السبب فى كل ما جد على حالتى. كنت قد استرحت إلى وحدتى وفرجتى بعد فض الاشتباك بين أجزائى، ثم جاءت هى لتشعر بى. لماذا تشعر بى؟. إنى أعلم أنها غير قادرة على شئ. لا هى ولا غيرها، أحيانا أرتاح لاحتمال أن تكون هناك رائحة بشر على بعد آلاف الأميال، واحد فقط يكفى، لو سقطت لعبة التمثيل والفرجة فقد يسمح وجود مثل هذا الشخص أن أنقط أنفاسى قبل أن أجن. الوحدة محتملة إذا أتقنت الدور وأخذت تقفز بين الكواليس تسجل الملاحظات، وتندس وراء الستائر، تداعب الأطفال وتشاهد الممثلين وهم يحفظون أدوارهم فى حماس أقرب إلى تبلد الشعور. يمكنك أن تلعب أيضا بعض أدوار الكومبارس دون أن يميزك أحد. حل فنى رائع.

ماذا لو فشلت؟.

سوف أدفع حياتى ثمنا لهذا الفشل، سوف أرفض أن أفقد سيطرتى على الموقف بكل وسيلة، إن هذا الإجراء الذى تلوح لى به روح خطيبتى التى تخابلىنى وراء ملامح زوجتى وهى نائمة هو الخطر الأكبر. سوف أقتلها قبل أن تهددنى بالفشل وتشككنى فى قدرتى على أن أستمر وحيدا فى لعبتى الجديدة الرائعة.

فى البدء قتلت زوجتى خطيبتى، واستولت على شكلها وجسدها، والآن على أن أقتل أنا روحها التى

إن الأمراض هذه الأيام
تغيرت عن الأمراض زمان،
حمى بدون حمى، وفقر دم
بدون دم، وحساسية بلا
إحساس. وكل هذا يسمونه
اضطرابا فى الأعصاب

تهدد أمن وحدتى الرائعة، ليس على الآن إلا أن أذهب أبعد من متناول يدها، سوف أقتل احتياجي لها، سوف أخفى هذه الخطابات بين قمامة الذكريات، سوف أطرق كل الأبواب التى أتأكد مسبقا أنها لن تفتح لى، سوف أبحث عن بديل لهذا الخطر المحدق بى، على شرط أن أمسك كل الخيوط بيدي طول الوقت.

سوف أبدأ بآمال...

.....

- صباح الخير يا آمل.

- أهلا عيد السلام.

من أين لى بهذه الشجاعة؟ آمل! هكذا بدون مدام، ولكنها هى أيضا قالت عبد السلام فقط، هل تتوى أن تخترقنى هى الأخرى؟. لا أكاد أذكر أن امرأة نادتنى باسمى منذ سنوات طوال، بل منذ الأبد، حتى أمى لم تتادنى باسمى أبدا، كنت "الولد" أو "المغدور" أو "اللى يخفى" أو "اللى ينحش فى وسطه"، أما زوجتى - فبعد فترة الخطوبة التى تكاد تتمحى من ذاكرتى - لا أعرف بم تتادينى إن كانت تتادينى أصلا.

(إبنى أهرب إليك يا آمل من روح خطيبتى التى تطل من وراء وجه زوجتى وهى نائمة، هل ستهددينى أنت الأخرى بأن تطرقى كوكبى الخاص وتقلبين المسألة جدا؟. سوف لا أطمئن إلى وحدتى إلا إذا غامرت بفشلى معك، وساعتها سأؤكد من أن كوكبى هو لى وحدى، ومع ذلك فأنا أحبك..، ربما!)

- آمل.

- نعم.

- الله ينعم عليكى.

عيناها تلمعان. هل ترانى هذه المرأة كما أنا؟. هل ترانى كما لا أعرف نفسى؟. لماذا كل هذه الطمأنينة فى عينيها وهذه اللمة السحرية من حولهما؟. هل هو إشعاع خاص بى وحدى أم أنها هى هكذا، أنا ألمحها تفيض على كل الناس، كل الناس من أول عم جمعه... حتى سيادة المدير، من هذه المرأة هى الأخرى؟. هل هى من فصيلة عم محفوظ السباك أو من قبيلة الأستاذ غريب؟. هى امرأة. إن أحاسيسى تجاهها مختلفة، لا أستطيع - أيضا - أن أستبعد منها الجنس، ولكنى لا أستطيع أن أقول إنها جنسية. أريد أن أقترب منها إلى آخر خلية فى جوفها، أريد أن أرانى طفلا فى أحشائها. هل هذا هو الجنس؟. ليس تماما، ليس هو الشئ القبيح الذى أتذكره إذ نتبادل قفشات المباحة بالفحولة ولا هو ما يذكر فى النكات البذيئة. هو شئ آخر لم يسبق لى أن عرفته فى حياتى، ماذا لو قرأت هذه المرأة أفكارى؟. أكاد أحس أن الموقف لن يتغير، أكاد أموت غيظا من ترحيبها الجرى غير المشروط، أحس أن شيئا مطلوباً منى، كيف أطلب أنا ما أريد؟. أنا لست فى محل بقالة أو صيدلية. أحس أننى أركب قاربا يتموج فى نهرها العذب، أميل على جانب من جوانب القارب حتى تلمس شفتائى الماء، أعب منه مباشرة دون حاجة إلى أن أصطنع وعاء بكفى، ولكن الغريب أن بقية الناس حولى بالمكتب يشربون من هذا الماء العذب، ربما يشربون بطريقة أخرى غير هذه الطريقة الطفلية الخطرة، وهى لا تبخل على أحد مهما كانت الطريقة.

أفقت من كل هذا على صوتها العذب.

ما أقسى هذا الشعور البشع،
أن تخفى شيئا عن شخص
يعلمه، أو يمكن أن يعلمه

- خيرا يا أستاذ عبد السلام.

الحمد لله دخلت "أستاذ" فى الموضوع، وعلى أن أقفز إلى الشاطئ، إلى الأرض، وكأن لفظ "الأستاذ"، هو السقالة التى أخطو عليها من القارب. لو أسعفتنى قدمائى لأخذت أجرى بعيدا عن النهر، وعن القارب، وحتى عن الشاطئ ذاته خوفا من الغرق.

- كنت أريد الاستفسار عن الملفات التى لم أستطع أن أكملها أمس.

- لا عليك، أنا أعرف ظروفك هذه الأيام وسوف أقوم باللائم.

يثور فى نفسى نمر مفترس. ماذا تعرفين عن ظروفى فى هذه الأيام؟. من أنت أيتها الحسنة المغرورة حتى تتصورى أنك تعرفين الظروف التى لا يعرفها أحد حتى أنا.

- أريد أن أراك بعد العمل...

هكذا... قلتها دون تفكير، وبصوت مثل طلاقات المسدس الصامت.

- وأنا أيضا أريد أن أراك على انفراد...، إنتظرنى على الناصية.

- أنا أحبك.

- أنا أعرف.

- ولكنى أحب أخريات.

- أنا أحبك.

- سأنتظرك.

- سأحضر.

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD050518.pdf

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نمو تعاون عربي وقبلي بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

شعـن: إنجازات أربعة عشرة عاماً من الكـدح "

(التأسيس العام 2000 الاطلاق على الويب العام 2003)

الكتـاب السنـوي الرابع

تحميل الكتاب

- التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet14Years.pdf>

- التحميل من موقع المتجر الإلكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=296&controller=product&id_lang=3